

الأطفال وعملهم في الشوارع

بحث
مقدم من قبل

م.م دنيا جليل اسماعيل الربيعي

قسم العلوم التربوية والنفسية

كلية التربية / جامعة ديالى

2011م

1432 هـ

مقدمة :

أضحى الاهتمام بالطفولة في المجتمعات العربية ضرورة ملحة تتطلبها ظروف المرحلة الراهنة , إذ تتميز المجتمعات العربية بتركيب سكاني شاب , كما تشير لذلك الإحصاءات المتعلقة بهذا الشأن مما يعطيهم شرفاً متميزاً في خريطة السياسات الاجتماعية المعنية بالشأن العام في هذه المجتمعات . هذا من

ناحية , ومن ناحية أخرى تشير نتائج الكثير من الدراسات الى تفاقم عدد من الظواهر والمشكلات المتعلقة بهذه المرحلة العمرية في الحقبة الأخيرة , مما يتطلب التركيز على هذه الشريحة السكانية في محاولة لتحسين أوضاع الأطفال بوصفها عاملاً حيوياً ومحكاً أساسياً لخطط التنمية والسبيل الى تجاوز ما تواجهه هذه المجتمعات من تحديات مصيرية . فالجهود المبذولة في مجال تحسين أوضاع الأطفال في المجتمع يعد ركيزة أساسية لإعداد القاعدة البشرية التي ستقع عليها عملية بناء المجتمع وقيادته مستقبلاً .

ولقد اكتسب موضوع عمل الأطفال في الشوارع اهتماماً متزايداً على الصعيدين العالمي والعربي مع نهاية عقد الثمانينات من القرن العشرين . ولم يكن ذلك بالطبع من قبيل المصادفات , فقد كان نتيجة لتسليط الأضواء بشكل مكثف على حقوق الطفل من خلال صدور اتفاقية حقوق الطفل العالمية وما يشوب هذه الحقوق من انتهاكات متباينة في كثير من المجتمعات , فضلاً عن ذلك فقد عرفت حقبة الثمانينات بعقد التنمية الضائع في العالم الثالث وما ترتب عليه من آثار اقتصادية واجتماعية على أغلب أفراد المجتمع لاسيما الفقراء منهم وبالتالي بروز العديد من الظواهر السلبية والمشكلات الاجتماعية نتيجة لذلك , وعلى الرغم من تعدد الدراسات حول ظاهرة عمل الأطفال وتنوعها إلا أن نتائج الكثير منها تؤثر قصوراً في المعلومات الخاصة بالظاهرة المدروسة , وأن القليل المتاح من المعلومات يقع في ضمن نطاق الدراسات الانثروبولوجية أو السوسولوجية صغيرة الحجم ذات الدلالة الجغرافية والاجتماعية المحدودة . وربما كان أحد الأسباب تلك النزعة الدعائية لدى أغلب صناعات القرار أو واضعي السياسات الاجتماعية التي لا تريد من الاعتراف بالحقائق الموجودة فعلاً وواقعاً , وتكون النتيجة المنطقية تضخم الظواهر السلبية وتداعي آثارها بشكل يحول دون نجاح التصدي لعلاجها .

أولاً : أهمية البحث :-

الطفولة هي أولى مراحل الحياة ورمز المستقبل , لذلك فهي الأحق بالرعاية والعناية تحسباً للمستقبل وضماناً لسلامة المجتمع وتوازنه والأطفال في هذه المرحلة العمرية يكونون بحاجة الى التوجيه والإرشاد المستمرين من أجل تحقيق مطالب نموهم بصورة سليمة من خلال وضع الأسس العلمية لرعايتهم

وتربيتهم , فالاهتمام بالطفولة هو اهتمام برأس المال البشري والذي يعد بدوره من النتائج الأساسية للتنمية فالأطفال ثروة قومية بما يمثلونه من قوة العمل المنتج ولا بد من المحافظة عليها ورعايتها للحصول على ثمارها المرجوة .

ثانياً : هدف البحث :-

- 1- يهدف البحث الى تحديد أبرز العوامل الاجتماعية التي تدفع بالأطفال للعمل في الشارع مع تحديد مدى كفاية الشارع في تلبية احتياجات الطفل العامل وأسرته .
- 2- تحديد العوامل الاقتصادية التي تدفع بالأطفال للعمل في الشوارع .
- 3- تحديد العوامل التربوية التي تدفع بالأطفال للعمل في الشوارع .

العوامل المؤدية الى ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع :-

لقد أضحت من المسلمات الرئيسية عند دراستنا للظواهر بمختلف صورها وأشكالها عقم تفسيرها بالعامل الواحد , والظاهرة الاجتماعية بصورة خاصة - ترجع في أغلب الأحيان الى مجموعة عوامل اجتماعية ترتبط مع بعضها في علاقات جدلية متفاعلة لذلك لا يوجد عامل واحد مسؤول عن أحداث ظاهرة اجتماعية ما , فالظاهرة الاجتماعية هي محصلة ظروف وعوامل متتابعة ومتفاعلة فيما بينها وفي هذه الحالة يعد كل عامل سبباً ونتيجة ومؤثراً ومتأثراً في الوقت ذاته , وعليه فليس من السهولة بمكان تحديد تاريخ معين أفرز فيه هذا العامل أو برز تأثير ذلك , ما لم نكن نعلم تأثير البيئة الاجتماعية التي طبقت فيها هذه العوامل التاريخية , وليس من الجائز تبعاً لذلك رصد ظاهرة اجتماعية معينة من خلال علاقة سببية خطية مباشرة , فلكل مجتمع خصوصيته وبنائه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والذي يسهم في تحديد وتشكيل نوعية وطبيعة حياة المجتمع , لذلك فإن الكشف عن طبيعة تأثير العوامل لا يمكن أن يتم إلا من خلال التعرف على جذور الواقع الاجتماعي , وعليه فإن تحليل أسباب ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع ينبغي أن يتم في سياق العوامل المؤثرة في الظاهرة في الجوانب الاقتصادية والتربوية والاجتماعية .

المبحث الأول

العوامل الاقتصادية

لا شك أن الاقتصاد هو الأساس المادي للبناء الاجتماعي , لأنه دعامة كل مجتمع متطلع نحو التنمية والرفاهية , وهو مدخل كل ثقافة تجدد نفسها دوماً حين تعدل أو تبدل من أسلوب حياتها فضلاً عن أن الاقتصاديات هي لباب الحياة الاجتماعية (1) .

إن ذلك بلا شك يؤكد حقيقة ما للاقتصاد من قوة وتأثير على مختلف مؤسسات المجتمع ونظمه , وبالتالي تأثير العوامل الاقتصادية في مختلف الظواهر والمشكلات التي تظهر في المجتمع .

ويبرز تأثير العوامل الاقتصادية واضحاً في ظاهرة عمل الأطفال بصورة عامة وعمل الأطفال في الشوارع بصورة خاصة , ويميل كثير من المحللين والباحثين الى الربط بين ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع وظاهرة العولمة , إذ تؤكد الدراسات على أن هذه الظاهرة قد شهدت انتشاراً سريعاً وواسعاً في العقدين الأخيرين من القرن العشرين وما تلاه , تلك الحقبة التي شهدت تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية أصابت معظم المؤسسات الاجتماعية في البلدان النامية وتكاد تشترك معظم البلدان النامية في المضمون الرئيسي لتلك التحولات والتي تمثلت باعتماد سياسات التكيف والتي أدت الى زيادة حادة في عدم التكافؤ الاجتماعي .

وعليه يمكن القول أن عمل الأطفال في الشوارع وظاهرة أطفال الشوارع قد استفحلت في العالم الثالث أو البلدان النامية بفعل ظاهرة العولمة فتحريرو السوق - الذي هو أبرز مؤشرات العولمة - كان له آثاراً اجتماعية في تلك المجتمعات فقد أدى الى " انقسام مجتمعات العالم الثالث الى شريحتين متباينتين : شريحة استوعبت مقتضيات الحداثة وقيمتها ومعاييرها , واحتكرت بحكم مؤهلاتها وظروفها امتيازات الحداثة ومكاسبها , في مقابل شريحة عريضة من المجتمع تتحائل على العيش لتوفير الحد الأدنى الذي يضمن لها الاستمرار في الحياة(2) .

إن إفرزات العولمة وحرية التجارة أفضت الى تزايد حدة الفقر وعملت على تدمير النسيج الاجتماعي مما أدى الى تسرب العديد من الأطفال من المدارس واضطراهم للعمل تحت أسوأ الظروف إذ " أن ظروف الحياة القاسية والمتغيرات التي مرت بالعالم والتي تمثلت بما سمي بـ " عصر العولمة " انعكست على الطفل بحيث دفعته الى العمل تحت ظروف قاسية وفي الأعمال المحرمة والممنوعة(3) .

ومع نمو ظاهرة العولمة , نلاحظ اتساع القطاع غير الرسمي في اقتصاديات البلدان النامية والوطن العربي بصورة كبيرة ومطرده , فما معنى القطاع غير الرسمي ؟ ولماذا اتسع بهذه الصورة في اقتصاديات البلدان النامية ؟ وما هي أهم مميزاته ؟ كيف أثر في ظاهرة عمل الأطفال ؟

" وعلى العموم ، يرافق هذا المصطلح الكثير من الصعوبات فهو عادةً ما يستعمل لوصف جميع النشاطات التي تتطلب قوى عمل كثيرة ورأسمالية قليلة ... وهذا القطاع يتسم بكونه مثال تام للاستغلال في الاقتصاد والعمل الذي يسيطر عليه الرأسمالي (4) " .

أما لماذا اتسع بهذه الصورة في اقتصاديات البلدان النامية والوطن العربي فإن البعض يرجع ذلك الى " فشل القطاع الرسمي في تلبية الحاجات الرئيسية لفئات واسعة من السكان ، ومن أوضح دلائل هذا الاتساع ، تزايد أعداد المنتمين الى سوق العمل غير الرسمية كرد فعل على تحرر الحكومات من سياسات الالتزام بالتعيين وتقلص فرص العمل في القطاع الحكومي والعام وتدهور شروط العمل وقلة الفرص في القطاع الخاص ... تذكر إحدى الدراسات أن " العمالة الهامشية " احتلت مكاناً مميزاً في الحياة الاقتصادية في المدن العربية ... ويعد هذا النوع من العمالة " عمالة جائلة " تهيم على وجهها في الطرقات سعياً وراء الرزق وحسب " التساهيل " (5) .

وترتبط بالقطاع غير الرسمي في أغلب الأحيان الأعمال الهامشية ذات المدخولات القليلة وغير المنتظمة ، " ولا شك أن هذه الأعمال تختلف بحسب درجة انفتاحها للراغبين وحجم إقبال الأشخاص وجنسهم وسنهم ، ومما يميزها أنها لا تحتاج مهارات علمية أو تقنية تذكر مما يجعل معظمها مفتوحة لمن يرغب ... ويبرز السن والجنس كأهم أساس للتمييز في إشغال هذه الوظائف ... لكن ما يجعل هذه الأعمال غير مرغوب فيها هو كثرة ما تستهلكه من وقت مقابل أجر زهيد نسبياً " ولا يخفى على أحد أن زيادة أعداد العاملين في هذا القطاع يترتب عليه آثار اجتماعية خطيرة لعل أبرزها " حرمان هذه الفئات من مكاسبها وحقوقها القانونية ، وخصوصاً الضمانات الاجتماعية التقاعدية ومرتببات نهاية العمل ، فضلاً عن تغيير بيئة العمل نفسها ، حيث تختلف قيم الزمن والعلاقات بين العاملين وصيغ التعامل مع قوى السوق ، مما يشكل نمطاً جديداً من التنشئة الاجتماعية - الاقتصادية (6) .

أما كيف أثر اتساع هذا القطاع في ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع ؟ فيمكن تفسيره بأن " طبيعة عمل رب الأسرة إذا ما كان العمل في الشارع مثل (الباعة المتجولين أو باعة الأرصفة ... الخ) تفرض في الكثير من الأحيان أن يقضي الأطفال معظم وقتهم في الشارع بصحبة والديهم (خاصة في حالة الأم الجاهلة) مما يجعلهم يأفون حياة الشارع ويرتبطون بمجتمعاته (7) .

كما أن الأجور غير المنتظمة التي يتسم بها العمل في القطاع غير رسمي دفع بالعديد من الأطفال الى محاولة الاعتماد على أنفسهم لمواجهة متطلبات حياتهم وحاجات أسرهم " وقد أظهرت نتائج

الأبحاث أن عمل الأطفال مرتبط بوضعية عمل الأب , فقد لوحظ أن نسبة الأطفال العاملين في العوائل التي يعمل فيها الأب بشكل منتظم أقل من نسبة الأطفال العاملين الذين يكون عمل آبائهم متقطع أو غير منتظم أو أن يكون الأب عاطل عن العمل⁽⁸⁾ .

وعليه فإن العولمة بما تحمله من قيم ومعايير وآليات قد أدت الى زيادة دائرة وحدة الفقر في العالم لاسيما العالم النامي مما أدى الى اتساع نطاق ظاهرة عمل الأطفال في هذه المجتمعات واتخاذها أشكالاً وصيغاً متعددة لعل أسوأها الذي يمكن ملاحظته هو ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع التي يرجعها الكثير من الباحثين الى ظاهرة الفقر الموجودة في المجتمع , فما هو الفقر ؟ وما هي الأسباب الكامنة وراء حدوثه وانتشاره - بالإضافة الى ما سبق ذكره ؟ وما هي تأثيراته على ظاهرة عمل الأطفال ؟ لنبدأ من محاولة تعريفه أولاً فالفقر " هو حالة من الحرمان المادي الذي تتجلى أهم مظاهرها في انخفاض استهلاك الغذاء كماً ونوعاً , وتدني الحالة الصحية والمستوى التعليمي والوضع السكني , والحرمان من تملك السلع الضرورية والأحوال المادية الأخرى , وفقدان الضمان الاحتياطي لمواجهة الحالات الصحية كالمرض والإعاقة والبطالة والكوارث والأزمات , والى جانب الحرمان المادي يشخص البعض أوجهاً للفقر من أهمها الانعزال والاعتمادية وضعف القدرة على اتخاذ القرارات وممارسة حرية الاختيار والتصرف بالأصول الإنتاجية وعلى مواجهة الصدمات الخارجية , وعدم الشعور بالأمان⁽⁹⁾ .

أما الأسباب الكامنة وراء ظاهرة الفقر في العالم فهي عديدة أهمها التوزيع غير العادل للثروات ما بين دول الشمال والجنوب , " فالتقارير الدولية تؤكد أن سكان العالم تجاوز ستة مليارات نسمة , خمسة مليارات منهم يعيشون في بلدان فقيرة , وتسيطر البلدان الغنية على (80 %) من إجمالي الدخل العالمي ويعيش فيها فقط (15%) من السكان في العالم وتقدر إحصاءات البنك الدولي أن (18%) من سكان دول العالم الثالث هم من " شديدي الفقر " و(33%) هم من " الفقراء " على أساس أن الحد الأعلى للفقر هو دولار واحد في اليوم⁽¹⁰⁾ .

وعلى العموم " فإن العالم به اليوم ما يزيد على (3) مليارات فقير , من بينهم (800) مليون نسمة يعانون من سوء تغذية مزمن . أما في منطقة آسيا والمحيط الهادي حيث يعيش (65%) من فقراء العالم فهناك شخص من بين كل خمسة أشخاص يعاني من الجوع " ⁽¹¹⁾ .

وعلى الرغم من ذلك فإن الفقر لا يقتصر ظله على البلدان النامية فقط , وإنما يمتد بظلاله الى البلدان الصناعية والمتقدمة وذلك برغم التقدم التكنولوجي الذي تميزت به هذه البلدان في القرن العشرين

وبداية القرن الحادي والعشرين ، ففي الدول الصناعية شهدت تقدماً ملحوظاً بالنسبة للأطفال سواء من حيث الصحة أو مستويات النمو أو التعليم غير أن هناك مؤشرات تدل على أن هذا التقدم السريع قد توقف ، وقد يكون آخذاً في التراجع الآن ، ففي الولايات المتحدة ارتفعت نسبة الأطفال الذين يعيشون دون خط الفقر من (15%) في سنة 1970 الى (20%) في الوقت الحاضر ، وتأتي كندا وأستراليا والمملكة المتحدة بعد ذلك ، إذ تبلغ نسبة الأطفال الذين يعيشون دون خط الفقر فيها (10%)⁽¹²⁾ .

وعلى الرغم من أن الوطن العربي يمتلك موارد طبيعية وثروات كبيرة ، إلا أن الحقائق تؤكد هناك نسبة كبيرة من سكانه ما زالت تعاني الفقر إذ " تشغل الفئات الدنيا مساحات ومناطق واسعة في البيئة الطبقيّة الراهنة للمجتمعات العربيّة ، حيث يتنامى عدد العاطلين والمهمشين والمحرومين والفقراء في سياق يتميز بوصول أنماط التنمية العربيّة الى أفقها المسدود وعجزها عن حل المشكلات المرافقة لها ، وسقوط قناع حملة المشروع التحديثي العربي ، وفشل الطبقة الحاكمة في تجسيد وعودها وخاصة المتعلقة منها بمكافحة الفقر واستيعاب الفئات الدنيا في العمالة المؤجرة ، ولعل أولى الحقائق الرقمية التي يجب تأكيدها هنا ، هي أن (60) مليون عربي يعانون الأمية و (73) مليون عربي يعيشون تحت مستوى خط الفقر مع وجود (10) ملايين عربي لا يحصلون على الغذاء الكافي⁽¹³⁾ " .

وعليه ، يمكن الاستنتاج بأن الفقر وبناء على ما سبق ينجم عن السياسات الاقتصادية التي تنتهجها الحكومات في تلك المجتمعات . ويربط البعض ما بين ظاهرة الفقر ومعدل الإعالة إذ أن " ظاهرة الفقر ترتبط بالأسرة التي ترتفع فيها معدلات الإعالة (أي يزداد فيها كل من الأطفال وكبار السن الذين هم خارج سوق العمل) ، وفي دراسة عن جيوب الفقر عام 1989 ، تبين أن حجم العائلة ، بدأ هو العامل الرئيسي وراء ظاهرة الفقر⁽¹⁴⁾ .

" وتشير بعض تقارير البنك الدولي أن أكثر من (60%) من الأسر التي يتجاوز حجمها تسعة أفراد أو أكثر تعيش خط الفقر مقابل (20%) من الأسر تضم ثلاثة أفراد أو أقل وينتمي الأطفال العاملون في الشوارع غالباً الى تلك الأنماط من الأسر ذات المستوى الاقتصادي المنخفض مع كبر حجم هذه الأسر ولا ريب في أن " كثرة النسل وتلازمه مع سوء الحالة الاقتصادية هو ما يدفع الى إهمال الرعاية والمتابعة ، وقد يكون سبباً في دفع الأطفال الى العمل والوجود بالشارع ، ولا يخفى أن هناك رابطاً بين عمالة الأطفال وأطفال الشوارع بشكل أو بآخر خاصة في الأعمال الهامشية⁽¹⁵⁾ " .

" وقد لوحظ أن الضغط على الأطفال للعمل لمساعدة عوائلهم , عادةً ما يكون في العوائل الكبيرة التي يكون عدد أفرادها سبعة فما فوق , إذ يكون عمل الأطفال في مثل هذه العوائل ضروري للحصول على دخل إضافي . ولا يخفى على أن فقر الأسر له تأثير سلبي - على أغلب الأحيان - على حالة الطفل في الأسرة , " فقد وجدت دراسة حول عائلات الأطفال الذين يعملون في الصناعات الجلدية في القاهرة , على سبيل المثال , أن (90%) من الآباء صرحوا أنهم ألحقوا أبنائهم بالعمل لا بالدراسة لأن عائلاتهم بحاجة الى أجورهم , وبالتالي فإن الفقر والأجور المتدنية هي السبب الكامن وراء تشغيل الأطفال , فالآباء يكسبون أجراً قليلاً بحيث يضطر أبناؤهم الصغار الى العمل⁽¹⁶⁾ . "

وقد أشارت نتائج كثير من الدراسات المتعلقة بعمل الأطفال في الشوارع الى أن هؤلاء الأطفال ينتمون في العادة الى أسر تعيش عند خط الفقر أو دونه مما يؤدي بالوالدين الى دفع أبنائهم للعمل في الشوارع أو قبول الأعمال مهما كانت نتائجها أو نوعها ... فضلاً عن ذلك فإن هذا النوع من الأسر ونتيجة لحالة الفقر والضائقة المالية وضغط ظروف الحياة اليومية في أحيان كثير تستعمل العنف والقسوة تجاه أطفالها مما يدفع بالأطفال للهروب من هذه الأسر بالعمل في الشوارع .

أما في العراق فإن العقوبات الاقتصادية التي فرضت على العراق بعد أحداث الثاني من آب عام 1990 قد تركت آثارها المدمرة على الاقتصاد العراقي وعلى كافة أوجه الحياة اليومية " وتشير نتائج إحدى الدراسات الى أن نسبة الفقر قد ارتفعت الى حوالي (72.1) بالمئة في المناطق الحضرية و (81.1) بالمئة في المناطق الريفية عام 1993 , بعد أن كانت (24.9) بالمئة و (33.9) بالمئة بالنتابع عام 1988⁽¹⁷⁾ . "

وقد نجم عن العقوبات الاقتصادية تردي مستويات المعيشة لكثير من الأسر العراقية وارتفاع تكاليف الحياة من جهة أخرى , مما أسفر عن عجز معظم الطبقات لاسيما ذات الدخل المحدود على إشباع حاجاتها الأساسية لهذا اندفعت الكثير من هذه الأسر وتحت ضغط الحاجة الاقتصادية الى زج أبنائهم للعمل في الشوارع أو الورش وهم في سن مبكرة من أجل تأمين مستلزمات الحياة اليومية .

واستناداً الى ما تقدم , يمكن ملاحظة أن ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع تكاد تنحصر بالفئات المهمشة من المجتمع التي تعيش عند خط الفقر أو دونه وهذا مما يجعل الوالدين يدفعون أبنائهم للعمل في مختلف الأعمال والنشاطات الاقتصادية وتحت أسوأ الظروف وأشدّها قسوة في أكثر الأحيان وعموماً

يمكن القول , أن ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع قد ارتبطت بعامل الفقر الذي ازداد وتوسع بفعل ظواهر اجتماعية واقتصادية وسياسية متعددة , داخلية وخارجية , يمكن إبراز أهمها بما يأتي :-

- ظاهرة العولمة وما تحمله من قيم ومعايير وآليات أدت الى زيادة حدة الفقر واتساع نطاق البطالة بين أفراد المجتمع نتيجة إتباع السياسات الانكماشية .
- التوزيع غير العادل للثروات في العالم ما بين الشمال والجنوب .
- اتساع القطاع غير الرسمي في اقتصاديات المجتمعات النامية والوطن العربي وارتباطه بالأعمال الهامشية في أغلب الأحيان .
- السياسات الاجتماعية والاقتصادية الخاطئة وغير العادلة التي تنتهجها الحكومات في بعض البلدان العربية وتأثير ذلك في زيادة حد الفقر في الوطن العربي .
- كبر حجم الأسر , وما ينجم عنها من آثار على وضع الأطفال داخل هذه الأسر .

المبحث الثاني

العوامل التربوية

من الحقائق المسلم في الوقت الراهن أن التعليم هو المحور الأساسي لتقدم وتنمية المجتمعات , فوجود القوى البشرية المؤهلة عن طريق التعليم يعد شرطاً أساسياً لتقدم أي مجتمع وتطوره , وبالتالي أصبح ينظر إليه في كثير من الأحيان على أنه صمام الأمان في المجتمع , لذا فإن أي خلل يحدث في العملية التربوية قد يقود الى خلل في أمن المجتمع بأكمله.

ولهذا " يلاحظ أن معظم أقطار العالم الثالث عكفت منذ استقلالها القريب على توسيع نشر التعليم بين مواطنيها بعد أن كان محصوراً في الطبقة الغنية والمتوسطة على الأكثر ... إن الصفوات الحضرية وغير الحضرية الحاكمة تحرص على نشر التعليم بين مواطنيها ليس فقط لتحقيق التحديث الذي يعطي دولها مركزاً حضارياً يدعم مكانتها الدولية بل لأن التعليم يوفر الكوادر التي تعتمد عليها مؤسسات الحكومة المدنية والتكنوقراطية والعسكرية (18) " .

وعلى الرغم من أن التعليم حق من حقوق الفرد أقرته الدساتير والمواثيق الدولية , وعلى الرغم من الجهود التي تبذلها الحكومات والدول لتسيير التعليم لجميع أفراد المجتمع , إلا أنه " وفقاً لليونسكو فإن (18%) من الأطفال في العالم في سن المدرسة الابتدائية لا يتلقون أي شكل من أشكال التعليم ويقدر عددهم بـ (110) مليون طفل , أما أحدث تقرير لليونيسيف فيذكر أن العدد المتزايد من الأميين في العالم الذي بلغ مليار نسمة يضم (130) مليون طفل في سن المدارس , وهؤلاء الأطفال يمثلون (21%) من أطفال العالم , وأن (73) مليوناً من بينهم بنات (19) " .

كما أن " هناك حالياً (284) مليون طفل ممن هم بعمر (12 - 17) سنة خارج المدرسة , وهذا الرقم يتوقع أن يصل الى (324) مليون في عام (2011) , وهم يشكلون جزء من (884.7) مليون أمي بالغ وكذلك جزء من (1.3) بليون إنسان ممن هم يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم , وهذه الرابطة ما بين الفقر والامية أصبحت اليوم من الحقائق المسلم بها , وهذه الأقطار التي هي اقتصادياً أقل تقدماً هي أيضاً الأقل نسبة في تحقيق برامج محو الأمية " .

وترتبط ظاهرة عمل الأطفال عادةً بتدني الحالة الاقتصادية والحالة التعليمية , ويرجع كثير من الباحثين تبعاً لذلك ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع الى تسرب الأطفال من التعليم أو عدم التحاقهم به أصلاً , والطفل قد يتسرب من التعليم أولاً يلتحق به لعدة أسباب قد يكون تأثيرها مباشراً أو قد يكون غير مباشر , وهي عديدة ومتنوعة تدفع في محصلتها بعض الأطفال الى التسرب من الدراسة والتوجه نحو ميدان العمل في الشارع ويأتي في مقدمة هذه العوامل طبيعة النظام التربوي القائم إذ " تؤكد دراسات وتقويمات أجراها البنك الدولي ومؤسسات أخرى بأن النوعية غير الجيدة للنظم التربوية تعد العائق الرئيسي لحصول الأطفال على التعليم الجيد , وان ضعف الكفاءة وعدم تكافئ فرص الوصول الى التعليم ونقص الموارد المخصصة للتعليم , تعد جميعها عوامل مصاحبة لعدم كفاية المدارس في وصول العديد من الأطفال الى التعليم ... وهكذا سنظهر هناك حاجة لفحص مشكلة عمل الأطفال والمراهقين ليس من منظور أن العمل يعيق الحضور الى المدرسة وحسب , بل من ناحية مدى فشل المدارس في تلبية

حاجات ومتطلبات وتوقعات الطلبة , ومن خلال مراجعة الأدبيات المتعلقة بالعوامل المؤثرة في مستوى التحصيل التعليمي في المدارس في أمريكا اللاتينية وبلدان الحوض الكاريبي , تبين بأن المدارس المختلطة والدوام الكامل في المناطق الريفية تميل الى الحصول على نتائج أفضل , وفي المدارس التي تمتلك توفيق مزدوج يميل الطلبة الذين يحضرون البرنامج الصباحي الى أن يقدموا نتائج أفضل وربما يكون سبب ذلك حقيقة أن الطلبة في العوائل واطئة الدخل يعملون في الصباح ويحضرون الى المدارس المسائية مما يجعل نتائجهم أقل بالمقارنة مع أقرانهم من البرنامج الصباحي⁽²⁰⁾ , وتشير نتائج كثير من الدراسات العربية بشأن العملية التربوية في الوطن العربي الى " أن العملية التعليمية في معظم البلدان العربية منفرة ويتسم اليوم الدراسي في المدارس العربية بالقتامة , حيث لم تعد هناك مساحات للعب والترفيه أو ممارسة النشاطات والهوايات ... إذ لا تسمح المخصصات بهذه الأشياء الثانوية من وجهة نظر القائمين على المدارس , أما عن مضمون المقررات المدرسية فهو بعيد عن حياة الطفل الفقير أو طفل الريف حيث أن الكتب المدرسية محملة بقيم الطبقة الوسطى في الغرب , الشيء الذي يؤدي الى اغتراب الأطفال وشعورهم بعدم الانتماء الى هذه العملية وجدواها⁽²¹⁾ . "

إضافة الى ذلك و فإن هناك مؤشرات عديدة تدل على تدني مستوى العملية التعليمية في البلدان العربية , مما يدفع بالكثير من الأطفال الى التسرب من المدرسة والتوجه نحو العمل , ولعل من أبرز هذه المؤشرات هي " أن المدارس بالتعليم الابتدائي أو التعليم الأساسي , لم تصل الى درجة الاستيعاب الكامل , أي أنه لا يزال أعداد من الأطفال ليس لها مكان بالمدارس , علاوة على عمليات التكدس في المدارس والفترات الدراسية التي وصلت الى ثلاث فترات يومياً في بعض المناطق بالدول العربية , ناهيك عن إعداد المعلم والمنهج الدراسي , وما شاب العملية من قصور وبروز مشكلة التكلفة التعليمية والدروس الخصوصية ... الخ⁽²²⁾ . "

ومما لا شك فيه أن تكاليف التعليم سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة تؤثر على استمرار الأطفال الفقراء في التعليم وتعد عقبة أساسية للالتحاق بالمدرسة مما يدفع بالكثير من الأسر الفقيرة الى سحب أبنائهم من النظام التعليمي وزجهم للعمل في الشارع لهذا " تنتشر ظاهرة التسرب عادةً بين أبناء الأسر الفقيرة التي تحتاج الى عمل أبنائهم لكي توفر مستلزمات الحياة اليومية , فالتسرب يحدث عندما يكون الأبناء جزء من اقتصاد العائلة وعندما يصبحون قادرين في الحصول على عمل والمساهمة في جني الأرباح ... ونتيجة لذلك يشكل أبناء الأسر الأكثر فقراً - تلك الأرقام المؤسفة العالية لغير الملتحقين والمتسربين مبكراً - وهي التي تظهر في تقارير الحكومات والوكالات الدولية⁽²³⁾ " , ويمكن القول , بأن

تحول التعليم في كثير من البلدان العربية من المجانية الحقيقية الى مصروفات ظاهرية أحياناً ومستترة في أحيان أخرى , هذا الوضع أدى الى خلق صعوبات وتحديات تربوية أمام أطفال الفئات الدنيا , وبالتالي تسرب الكثيرون منهم من الدراسة والالتحاق بسوق العمل , إضافة الى ما تقدم , فإن انخفاض القيمة الاقتصادية والاجتماعية للوظيفة بشكل عام والشهادة بشكل خاص , تدفع بالعديد من الأطفال للاتجاه نحو العمل منذ الصغر وترك التعليم إذ أن " مجرد الشباب لا يتوقعون من تعليمهم أكثر من وظائف قليلة المردود أو عدم التوظيف يجعلهم في حالة نفسية غير متفائلة إزاء المستقبل وقد يتفاهق شعور الشباب ضد مواصلة التعليم مما يحرمهم من الحد الأدنى من التأهل للتوظيف فيبقوا عاطلين معظم حياتهم (24) " .

ويلعب الاتجاه أقيمي السائد في المجتمع دوراً مؤثراً في غرس الاتجاهات في نفوس الأطفال باتجاه التعليم أو العمل " وقد أشارت سالازار الى أن القيم الاجتماعية ربما تحد من التعليم وتشجع العمل , بمعنى آخر أن مكانة العمل والحرف مقابل مكانة التعليم تؤثر على نسبة التحاق الأطفال بالتعليم , (ويظهر تأثير القيم أيضاً في ظاهرة عمل الأطفال) , عندما تحصر بعض المجتمعات عمل المرأة بالمنزل , لهذا يتوجب على الأطفال أن يكونوا وسطاء بين المرأة المنتجة في المنزل وبين المستهلك .

وفي دول مثل أمريكا اللاتينية وأفريقيا تؤثر مرتبة ولادة الطفل على حق الطفل في التعليم حيث تكون الأفضلية في التعليم للأخ أو الأخت الكبرى , وبشكل هذا الأمر بالنسبة لأولياء الأمور استثمار إذ تقوم الأخت الكبرى برعاية وتعليم الأخوة والأخوات الأصغر سناً .

وتلعب البيئة المحيطة بالطفل ممثلة بالأسرة بالدرجة الأولى دوراً مهماً في استمرار الطفل في الدراسة أو تسريه منها , ولعل من أبرز المؤثرات في هذا الجانب هو تدني مستوى تعليم الوالدين أو جهلهم إذ " نتيجة لقصور الوعي الثقافي من جانب الأميين وقلة إدراكهم لأهمية التعليم بالنسبة للفرد والمجتمع , لذلك فهم كثيراً ما يهملون في متابعة الأبناء أثناء الدراسة ... ولقد أثبتت الدراسات التي أجريت في هذا الصدد أن الآباء الذي يهملون في متابعة أبنائهم يقعون ضمن فئة الأميين أكثر من الفئة المثقفة أو المتعلمة (25) " .

وتشير نتائج كثير من الدراسات الخاصة بالأطفال العاملين في الشوارع الى أن هؤلاء غالباً ما ينتمون الى أسر ذات مستوى تعليمي متدني , مما يجعل الوالدين لا يقدمون الرعاية والاهتمام المناسب لأبنائهم من أجل مواصلة التعليم , بل قد تكون الأسرة في أغلب الأحيان هي التي تدفع الأطفال الى التسرب من التعليم والتوجه نحو العمل في الشارع من أجل تأمين جزء من متطلبات الحياة اليومية لهم

لأسرهم , أي " أن جهل الآباء أو تدني مستوى تعليمهم له أثر مباشر في سلوك الطفل وقيمه واتجاهاته بما في ذلك اتجاهاته نحو التعليم⁽²⁶⁾ " , هذا من ناحية , ومن ناحية أخرى , فإن الدراسات أكدت على وجود علاقة طردية ما بين المستوى التعليمي ومستوى الدخل في أغلب المجتمعات مما يؤثر بالتالي على وضع الأطفال في الأسرة , وبما أنه أغلب أولياء أمور الأطفال العاملين هم من ذوي المستوى التعليمي المتدني , لذلك فهم يحصلون على مقابل أجر قليل وغير منتظم في أغلب الأحيان مما يجعلهم يدفعون أطفالهم الى العمل من أجل توفير متطلبات الحياة اليومية وهكذا نجد أن هذا العامل عادةً ما يديم نفسه أي أن الفقر يقود الى تدني مستوى التعليم أو الأمية والعكس صحيح " فانخفاض مستويات التحصيل التعليمي , وارتفاع معدلات الأمية , هما سبب انخفاض الدخل , لكنهما في الوقت نفسه مظهر من مظاهر الفقر والتخلف⁽²⁷⁾ " .

أما في العراق ففضلاً عما سبق ذكره من عوامل تؤدي الى تسرب الأطفال من التعليم واتجاههم نحو العمل منذ الصغر , وتشير إحدى الدراسات التي أجريت في بعض محافظات القطر إن ضعف اهتمام الطلبة بالدراسة يأتي في مقدمة الظواهر التربوية والنفسية السلبية السائدة بين أوساط الطلبة , وأن (45%) من أفراد عينة الدراسة يعانون من صعوبة الظروف الاقتصادية ويفضلون العمل على الدراسة , فضلاً عن أن (57%) من المجموع الكلي يؤكدون على ضآلة أهمية الشهادة عند الطلبة⁽²⁸⁾ " .

ويمكن القول بناء على ذلك أن الحالة الاقتصادية الضعيفة قد تركت آثارها على طرق تفكير وسلوك الطلبة أكثر مما تركت آثارها في الجانب المادي للعملية التربوية , فقد هبطت قيمة العلم والمعرفة وطغت في مقابل ذلك قيم الثروة والكسب السريع مما حدا بالكثير من الطلبة لاسيما ذوي الدخل المنخفضة الى ترك التعليم والتوجه نحو ميادين العمل الحر مما أثر سلبياً في العملية التربوية للقطر⁽²⁹⁾ .

وعموماً , هناك عوامل عديدة متنوعة , تدفع بالأطفال لاسيما الفقراء الى التسرب من المدرسة والتوجه نحو ميادين العمل منذ الصغر ولعل أبرز هذه العوامل هي ما يأتي :

- سوء النظام التربوي وعدم ملائمته لحاجات وطموحات أفراد المجتمع .
- قلة عدد المباني المدرسية وسوء حالتها وعدم تلائم المنهج الدراسي مع حاجات الطفل .
- ارتفاع تكاليف التعليم سواء كانت هذه التكاليف مباشرة أو غير مباشرة .
- تدني مستوى تعليم الوالدين وتأثير ذلك في اتجاهات الأطفال وميولهم نحو التعليم .

- الاتجاه أقيمي السائد في المجتمع الذي يعزز قيمة العمل مقابل التقليل أو الحد من قيمة العلم والمعرفة .

وما يهمننا قوله هو أن التعليم وظروفه قد تدفع الطفل الى التسرب من التعليم أو عدم الالتحاق به أصلاً , وتكون النتيجة الخروج الى الشارع وممارسة عمل غالباً ما يكون هامشياً .

المبحث الثالث

العوامل الاجتماعية

تمارس البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد دوراً مهماً في شخصيات الأفراد ونمط سلوكهم واستجاباتهم المختلفة , ومما يؤكد دور البيئة الاجتماعية في تشكيل الاتجاهات العقلية والعاطفية للفرد وتحديد نمطه السلوكي , إنه إذا ما احتوته الاتجاهات العقلية والعاطفية للبيئة , يكون قادراً على معرفة أهدافها الخاصة وطرق ووسائل تحقيقها , فطريقة الحكم على الأمور , وكيفية تفسير الظواهر المختلفة , ونوعية القيم السائدة , إنما تعكس الاتجاهات العقلية والعاطفية السائدة في المجتمع⁽³⁰⁾ .

لهذا , ومن اجل فهم صحيح وأوسع لظاهرة عمل الأطفال في الشوارع ينبغي وضع الظاهرة المدروسة ضمن سياق العوامل الاجتماعية المؤثرة فيها والتي من خلالها نستطيع معرفة الأثر الذي تتركه البيئة الاجتماعية واستجاباته لمختلف الموقف والظروف .

وفي هذا المبحث سنناقش علاقة العوامل الاجتماعية في زيادة ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع من خلال المجالات الآتية :-

- العوامل الاجتماعية الخاصة بالأسرة والطفل .
- العوامل الاجتماعية الخاصة بالمجتمع .

العوامل الاجتماعية الخاصة بالأسرة والطفل

اهتم المفكرون والعلماء بدراسة شؤون العائلة قديماً وحديثاً لكونها الوحدة الاجتماعية التي تقوم بدور أساس في حياة الأفراد والجماعات .

ويرى هؤلاء أن تماسك المجتمع واستقراره يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتحلل وتفكك دور العائلة فيه⁽³¹⁾ , ومما لا شك فيه أن للأسرة دوراً مهماً ومؤثراً في حياة الأطفال من خلال دورها في بناء شخصياتهم عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية لهم بما تتضمنه من غرس للقيم والمعايير والعادات والتي بواسطتها تحدد ميول الطفل واتجاهاته .

وبالنظر لما تحلته الأسرة من أهمية كبيرة في حياة الأطفال وفي ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع بدرجة خاصة لذلك فقد أفرد لها مجال مهم ضمن العوامل الاجتماعية المؤدية الى ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع , ويمكن تلخيص أبرز الظروف والأوضاع والمشكلات الأسرية التي يمكن أن تؤدي الى زيادة نسبة الأطفال العاملين في الشوارع بالآتي :-

التفكك السري :-

تلعب الروابط السرية أثراً كبيراً في توفير شبكة أمان للأفراد , ولكن لها وجود أقوى في مناطق مقابل مناطق أخرى وخاصة البادية والريف مقارنة مع الحضر ... والتنوع والاكتظاظ السكاني في المدن يسمح عادةً بتفكيك الأسرة الكبيرة الى أسر صغيرة وانتشارها على امتداد سكاني يسمح بهامش أكبر للخصوصية⁽³²⁾ .

وتبرز مشكلة التفكك العائلي كأحد أبرز العوامل الاجتماعية التي تتعرض لها الأسرة والتي تؤثر بصورة مباشرة في ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع , فما معنى التفكك ؟ وما هي أشكاله ؟ وكيف يؤثر في ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع ؟ اصطلاحاً يراد بظاهرة التفكك انهيار وحدة اجتماعية وتداعي بنائها واختلال وظائفها وتدهور نظامها سواء أكانت هذه الوحدة شخصاً أم جماعة أم مؤسسة أم أمة بأكملها , وهو عكس الترابط والتماسك⁽³³⁾ .

" ومصطلح (التفكك العائلي) من المصطلحات التي أختلف المختصون في تحديده , وفي وضع تعريف محدد له , فقد وضعت تسميات مختلفة له مثل (التفكك الأسري) و (تصدع الأسرة) , (والعوائل المتصدعة والتصدع العائلي) و (البيوت المحطمة) و (الأسرة المحطمة) و (العائلة المتداعية) وتكاد تشترك تلك المصطلحات في الحالات - أو الصور - التي تؤكدتها مثل وفاة أحد الوالدين أو كليهما , وطلاق الوالدين , الخصام بين الوالدين , التربية العائلية الخاطئة ويضيف بعضهم الى تعدد الزوجات⁽³⁴⁾ .

وتشير نتائج أغلب الدراسات بشأن الأطفال العاملين في الشوارع الى أن هؤلاء " عادةً ما يكونون نتاجاً للتفكك العائلي وأن تصدع أسرهم غالباً ما يرجع الى الفقر , كما أنهم ينحدرون في أغلب الأحيان من أسر ترأسها النساء ويكون الأب من مدمني الكحول ويضطر الأطفال عادةً الى الخروج للعمل في الشارع وربما في مكان أسوأ نتيجة لتصدع أحد أركان الأسرة إذ " قد يؤدي التفكك الأسري الى اختلاف الأدوار والمراكز الوظيفية والمكانات داخل الأسرة فيؤدي الى اتخاذ الأبناء مكان الآباء في إعالة وكفالة إخوانهم وأخواتهم ... وأن تصدع الأواصر الأسرية وخصوصاً عند فقدان الأب بالوفاة , يدفع الصبي لأن يكون مسؤولاً بسن مبكرة عن تحمل أعباء أسرته من إخوانه وأخواته حتى ولو كانت والدته تعمل⁽³⁵⁾ .

كبر حجم الأسرة مع انخفاض مستوى الدخل :-

يعد كبر حجم الأسرة من ابرز سمات الأسرة ذات المستوى الاجتماعي والاقتصادي المتدني ولاسيما تلك التي تقع عند خط الفقر أو دونه ... وهذه السمة تكاد تكون مشتركة في هذه السر في أغلب المجتمعات ولاسيما النامية منها , وتتجه هذه الأسر الى إتباع سياسة كثرة الإنجاب لعدة أسباب منها " عدم وعيهم الكامل بالمشاكل والصعوبات التي يجلبها عليهم كثرة العدد من حيث الإنفاق والرعاية , فضلاً عن ذلك و يكثر الفقراء من الإنجاب نتيجة لبعض المعتقدات والاتجاهات التي تتركز في الإحساس بالأمان إذا ما فقدوا واحداً أو أكثر منهم بالمرض أو سوء التغذية , كما أن الفقراء عادةً ما يروا في أبنائهم الحماية ضد الشيوخة والمرض⁽³⁶⁾ .

" ولا يخفى على أحد أن كبر حجم الأسرة يؤدي الى زيادة أعباء الأسرة الاقتصادية وإهمال في متابعة الأبناء إذ أن الأب يحتاج الابن من جهة وتصب عليه متابعته من جهة أخرى فيفضل أن يتجه الى العمل بدلاً من الدراسة " .

ومما لا شك فيه أن كبر حجم الأسرة مع تدني المستوى الاقتصادي لها يترتب عليه نتائج سلبية على حياة الأطفال ونموهم منها حرمانهم من أن يحيوا حياة طبيعية كذلك التي يحياها أقرانهم في الأسر الأقل عدداً والأيسر حالاً , ومنها أيضاً قلة الوقت والمال والرعاية المقدمة لهم , كما يترتب على ذلك أيضاً حرمانهم من التعليم ودفعهم للعمل في الشارع أو غيره لتوفير جزء من متطلبات الحياة اليومية لهم ولأسرهم (37) .

الوراثة المهنية :-

يعد نوع العمل الذي يؤديه الآباء من المؤشرات الهامة الدالة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة , وتمتاز بعض الأسر بامتثالها لبعض الأعمال والحرف والتي تنتقلها عبر الأجيال والأمثلة في ذلك عديدة , فالخلفية المهنية للآباء تؤثر بشكل فعال في توجيه الأبناء للعمل بمهن معينة دون أخرى , يستطيع الآباء تقدير فائدتها في إعداد الطفل للمستقبل .

وعلى الرغم من أن العمل في الشوارع يعد من الأعمال الهامشية التي لا تحتاج الى خبرات علمية , إلا أنها في الوقت ذاته " تحتاج الى خبرات اجتماعية وسلوكية لكي تحقق العيش لأصحابها في ظروف المنافسة غير المنضبطة نسبياً (38) " .

وغالبا ما يأخذ الآباء أولادهم معهم منذ الصغر من أجل التأثير على عاطفة الناس وبالتالي ينشأ الأطفال منذ نعومة أظفارهم على هذه الأعمال والمهن وبذلك يصبح امتحان هؤلاء الأطفال لمثل هذه الأعمال شيء طبيعي لا يتعارض مع وضعهم في المجتمع أو الأسرة (39) .

وبناءً على ذلك تتضح العلاقة بين أعمال الآباء واتجاهات أطفالهم نحو العمل وطبيعته .

أسباب اجتماعية خاصة بالطفل :-

مما لا شك فيه أن بعضاً من حالات عمل الأطفال لا ترجع الى ضغط الظروف الاجتماعية والاقتصادية لأسر الأطفال وإنما ترجع الى بعض الظروف والسمات الشخصية لبعض الأطفال ومنها :-

- الميل الى الحرية والهروب من الضغوط الأسرية .
- غياب الاهتمام باللعب كضرورة وانعدام الترفيه داخل الأسرة والبحث عنه من خلال العمل في الشارع .

- عدم القدرة على التكيف مع الظروف الأسرية غير الملائمة .
- حب التملك - فالشارع يتيح له نوعاً من العمل أياً كان , ولكنه يدر دخلاً .
- الشارع قد يكون عنصر جذب بما فيه من خبرات جديدة ومغامرات للإشباع العاطفي (40) .

تقليد الأصدقاء :-

قد يتجه الطفل الى العمل منذ الصغر لا لشيء إلا نتيجة لتأثير أصدقائه عليه وتقليده لهم , فمن هم جماعة الأصدقاء ؟ وكيف تؤثر في الطفل ؟ ومتى يصبح تأثير الأسرة ؟ الأصدقاء هم الجماعة الأولى التي تتناسب سن الطفل وتناسب منزلته الاجتماعية , وهي التي يجد فيها فرصته الأولى لتكوين علاقات اجتماعية جديدة , ذات طبيعة مستقلة , تختلف عما عهده من علاقات أخرى في نطاق أسرته , ... أنها الجماعة التي يختبر الطفل مدى قدرته على تخطي الحدود التي رسمها له الوالدين في محيط أسرته ... وفي هذا الصدد يقول " ديفيد رايسمان **Devied Riesman** أن جماعة اللعب هذه تصبح المؤسسة الرئيسية في تشئة الطفل اجتماعياً , بعد خروجه من نطاق عائلته الى جماعة أولية أخرى , تضم أفراد متجانسين ومتشابهين في أكثر من صفة ويعيشون في بيئة واحدة(41) .

" ومما لاشك فيه أن للجيران وأولادهم أثراً مؤثراً في حياة الطفل وسلوكه فهم الأكثر تردداً على بيت الطفل , وإذا كانت علاقات أولاد الجيران بأبائهم غير جيدة , تتعكس آثارها على الطفل لاسيما إذا ما كانت هناك ظروف عائلية صعبة وقاسية , آنذاك يصبح تأثير هؤلاء الأولاد في الطفل كبيراً وواضحاً في ظهور أو تعلم أنماط سلوكية من التفكير في مجالات الغيرة والحسد والكسب السريع(42) .

وعليه يمكن الاستنتاج بأن جماعة الأصدقاء يكون تأثيرها أقوى في بناء اتجاهات الأطفال وميولهم من تأثير الأسرة عندما يضعف تأثير الأسرة في الطفل نتيجة لبعض الظروف والأزمات التي تمر بالأسرة .

العوامل الاجتماعية الخاصة بالمجتمع :-

إن ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع هي ظاهرة مجتمعية ينبغي وضعها ضمن إطار العوامل المؤثر فيها من كافة جوانب الحياة الاجتماعية .

ولقد ساهمت العديد من العوامل الاجتماعية الخاصة بالمجتمع في استفحال ظاهرة عمل الأطفال

في الشوارع لعل من أبرزها ما يأتي :-

1- النمو الحضري غير المخطط وانتشار التجمعات العشوائية .

2- الطلب على تشغيل الأطفال وضعف أجهزة الرقابة .

النمو الحضري غير المخطط وانتشار التجمعات والمناطق العشوائية :-

تشير نتائج كثير من الدراسات عن عمل الأطفال في الشوارع الى أن الظاهرة قد ارتبطت بالمناطق الحضرية دون الريفية , ويرى كثير من الباحثين أن عامل النمو الحضري غير المخطط يعد عاملاً مهماً وأساسياً في انتشار ظاهرة عمل الأطفال في الشوارع في مجتمعات العالم النامي , فكيف نفسر ذلك ؟

بداية نقول أن " النمو الحضري في البلاد العربية كان في أوائل القرن الحالي حوالي (1%) سنوياً , وارتفعت النسبة الى (2%) خلال الثلاثينات والأربعينات , وفي الخمسينات والستينات ازدادت النسبة الى (3%) و (4.5%) سنوياً وهي اليوم تتراوح بين (4.5%) و (5.5%) سنوياً , بينما تتراوح معدلات النمو الحضري العالمي بين (4%) و (4.5%) فقط .

ونسبة النمو الحضري في البلاد العربية تسبق بصورة واضحة النمو السكاني فيها الذي يتراوح (2.9%) و (3.6%) فهي إذن تشهد نمو سكانياً مرتفعاً وتحضراً سريعاً مما يفسر تضخم المدينة العربية خلال العقود الأخيرة⁽⁴³⁾ .

أما في العراق فقد " بلغ حجم الهجرة الداخلة في العراق بحسب تعداد 1987 نحو (1.946.191) مهاجراً , وهو مقارب لما كان عليه الحجم في تعداد 1977 والبالغ (1.721.363) مهاجراً . ولهذا الهجرة اتجاه رئيس واحد , تمثل محافظة بغداد قطبه , إذ أن (41%) من تلك الهجرة اتجه عليها ... وقد وصلت النسبة عام 1997 واتساع مرافقها ونشاطها الاقتصادي ولأسيما الصناعي منه قد مارست دوراً في جذب المهاجرين إليها⁽⁴⁴⁾ .

وتمثل الهجرة من الريف الى المدينة أبرز ملامح النمو الحضري في البلدان العربية والعراق ومما يؤكد ذلك هو أن " المحافظات ذات النسبة العالية من قطاع العمل الزراعي هي أكثر المحافظات حجماً في الهجرة الطاردة , فمحافظة ميسان , وذي قار وديالى تأتي على رأس المحافظات الطاردة وتتراوح نسبة العاملين في النشاط الزراعي في هذه المحافظات ما بين (70-76 %) من مجموع العاملين في سنة

1947 وما بين (61-71%) في سنة 1957 وترتفع نسبة سكان الريف في هذه المحافظات ما بين (54-60%) سنة 1977 والى ما بين (38-54%) من إجمالي السكان عام 1987 (45) .

ومما سبق يتضح أن حركة التطور التي تشهدها المدن في العالم النامي والوطن العربي هي (حركة تحضر) وليس (ظاهرة تحضر) وذلك يرجع الى " أن المدينة تاريخياً , تقوم بدور البوتقة التي تصهر فئات المجتمع كافة وتوحدتها في نسق من العلاقات الوظيفية القائمة على الدور والأداء بالنسبة للفرد والجماعة , بيد أن المدن الكبرى , وبسبب من طبيعة حركة التحضر التي نشأت على أساسها , تفقد هذا الدور , لأن معظم سكانها نزحوا من مجتمعات ريفية ونقلوا معهم العلاقات الاجتماعية التي كانت قائمة فيما بينهم هناك ... ومن أجل حفاظهم على تلك العلاقات , افتعلوا الكثير من الأسباب لتحقيق ذلك , ولهذا يلاحظ تركيز الأقارب في مناطق معينة(46) .

ومما لاشك فيه أن للنمو الحضري غير المخطط آثاراً اجتماعية خطيرة تتمثل في " تدهور ملموس في جودة الحياة وإخلال بالأمن الصحي والتوازن الاجتماعي ومن أهم مؤشرات هذا التدهور الكثافة السكانية , وكثرة عدد السكان في البيت الواحد وفي العمارة الواحدة ويحدث ذلك خاصة في المدينة القديمة والأحياء القديمة إذ تسكن أسرة كاملة في غرفة واحدة(47) .

ونتيجة أيضاً للنمو الحضري غير المخطط نلاحظ انتشار المناطق والتجمعات العشوائية في أغلب المدن العربية بحيث باتت تمثل هذه المناطق واحدة من أبرز الملامح للمدن العربية العملاقة , وعلى العموم , تؤكد نتائج الدراسات بشأن هذه المناطق بأنها تتميز بعدة صفات سواء من الناحية الاقتصادية والاجتماعية أو من الناحية العمرانية والبيئية فمن الناحية البيئية والعمرانية تتميز هذه المناطق بخصائص لعل أهمها :-

- المستوى الرديء لغالبية المساكن بالمنطقة , فالمساكن لا تخضع لأي نوع من الرقابة .
- ضيق الشوارع وتعرجها أحياناً نتيجة التقسيم العشوائي ... مما يصعب معه وجود وسائل مواصلات داخلية عامة .
- افتقار هذه المناطق الى المساحات الخضراء والمفتوحة وأماكن الترفيه واللعب وعدم وجود أي منفذ للسكان للترفيه وسط هذا التكديس من المباني والمساكن , لذا يعد الشارع المكان الرئيسي للترويج لأهالي المنطقة ويستخدمه الأطفال والشباب كمكان للهو واللعب .

- تداخل الأنشطة التجارية والصناعية مع المناطق السكنية مثل تواجد المحلات التجارية والورش الحرفية والصناعات اليدوية بين المساكن , كما تنتشر الأسواق ويمتد معظمها على الشارع كوسيلة عرض ومكان للبيع ومزاولة المهن المختلفة⁽⁴⁸⁾ .

ومما لاشك فيه أن انتشار وتوسع المناطق والتجمعات العشوائية بما تتميز به من مستوى معيشي واجتماعي متدني لسكانها , فضلاً عن ارتفاع نسبة المشاكل الاجتماعية كحالات التفكك الأسري والإجرام وتشرد الأطفال , وغير ذلك من خصائص وسمات بيئة وعمرانية تدفع في محصلتها الكبار أو الصغار للعمل في الشارع وعده كأنه حالة طبيعية في جسم المدينة العربية للخصوصية الثقافية التي تتميز بها هذه المدن والتي تميز سكانها عن بقية سكان العالم .

الطلب على عمل الطفل وضعف أجهزة الرقابة :-

يعد عامل الطلب على عمل الأطفال واحداً من أبرز العوامل المجتمعية المؤدية الى اتساع ظاهرة عمل الأطفال إذ " يميل أرباب العمل الى استخدام الأطفال لأنهم يعملون مقابل أجر قليل , كما أنهم نادراً ما يطلبون رفع أجورهم أو تحسين ظروف عملهم ... وفي صناعات مثل الحياكة والسجاد وصنع المفرقات والشخاط وغيرها يفضل الأطفال العاملون لأنهم يمتازون بسرعة الحركة والنشاط⁽⁴⁹⁾ وتشير نتائج إحدى الدراسات في هذا المجال " الى أن (84%) من أرباب العمل ذكروا أنهم يستخدمون الأطفال لأن الأعمال التي يقوم بها الأطفال لا يمكن أن توكل الى كبار , فيما ذكر (86%) من أرباب العمل أن السبب الرئيسي وراء استخدام الأطفال هو كون الطفل مطيع وسهل الانقياد , ويعتقد (10%) من أرباب العمل أن الأطفال قادرين على إنجاز العمل دون استراحة بشكل أفضل من الكبار , أما (30%) من أرباب العمل قد تدمروا من العمال الكبار وذلك لأنهم يعارضون في تنفيذ المهام التي يستطيع الأطفال إنجازها , لذا فإن كثيراً من أرباب العمل من المالكين والمستأجرين يفضلون استخدام الأطفال في العمل⁽⁵⁰⁾ .

وعلى الرغم من أن أغلب الحكومات قد صادقت على المعاهدات والاتفاقيات الدولية الرامية الى مكافحة عمل الأطفال وجعله في أضيق الحدود من خلال إصدار القوانين والتشريعات للحد من عمل الأطفال , إلا أننا نلاحظ اتساع الظاهرة وانتشارها في أغلب المجتمعات النامية وبأشكال وصيغ متعددة , وهذا يعني أن القوانين واللوائح التي تصدر في مثل هذه المجتمعات تبقى حبر على ورق ولا تخرج الى حيز التنفيذ .

إن عدم تفعيل الجدي للقوانين والتشريعات التي صدرت لحماية الطفل , وغياب الوعي الاجتماعي والقانوني بشأن ما تتضمنه هذه القوانين والتشريعات من مسؤولية الدولة الأدبية والقانونية عن كفالة حماية ورعاية الأطفال وضرورة تدخلها عند تقصير الأسرة في القيام بواجباتها تجاه أبنائها , كل ذلك من شأنه أن يؤدي الى زيادة في نسبة المشكلات المرافقة لمرحلة الطفولة وانعكاس ذلك السلبي على مستقبل المجتمع واستقراره .

الهوامش والمصادر

1. اسماعيل قباري محمد , ما وراء علم الاجتماع , الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الإسكندرية , 1978 , ص 291 .
2. فهمي , محمد سيد , أطفال الشوارع , مأساة حضارية في الألفية الثالثة , مطابع رويال , الإسكندرية , الطبعة الأولى , 2000 , ص 79-80 .
3. عالم العمل , مجلة منظمة العمل الدولية , المخاطر الاجتماعية لظاهرة عمل الأطفال تصدر عن مكتب العمل , جنيف , العدد 39 , أيلول 2001 , ص 18 .
4. خليل عزة عبد المحسن , أطفال الشوارع في العالم العربي , أسباب المشكلة بحث مقدم الى ورشة العمل الذي نظمها المجلس العربي للطفولة والتنمية , دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة , ط1 , 2000 , ص 31 .
5. النوري , قيس , الانثروبولوجيا الحضارية بين التقليد والعولمة , مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع , الأردن , ط1 , 2001 , ص 205 .

6. مصطفى , عدنان ياسين , الفقر والمشكلات الاجتماعية (قسم الدراسات الاجتماعية , بيت الحكمة . بغداد) , العدد الأول , السنة الثالثة , 2001 , ص 74 .
7. خليل , عزة عبد المحسن , أطفال الشوارع , مصدر سابق , ص 22 .

8. Abdalla , Ahmed , Child labour in Egypt : Leather tanning in Cairo , Baquele , Assefa & Jo Boyden ((ed)) , Combating child labour , International labour office – Geneva , first Publish , 1988 , P. 59 .

9. باقر محمد حسين , قياس وتحليل الفقر بحث منشور في وقائع فريق خبراء بشأن تحسين مستويات المعيشة في دول الشرق العربي , سلسلة مكافحة الفقر (8) نيويورك , 1999 , ص 44 .

10. المسافر , محمود خالد , العولمة والفقر في الوطن العربي , مجلة دراسات اجتماعية , بيت الحكمة , بغداد , العدد 13 , 2002 , ص 88 .

11. خليل , عزة عبد المحسن , أطفال الشوارع في العالم العربي , مصدر سابق , ص 20 .

12. حالات فوضى , الآثار الاجتماعية للعولمة , ترجمة عمران أبو حجلة , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , 1997 , ص 229 .

13. قيرة , اسماعيل , المجتمع العربي الآخر , مجتمع الفقراء والمحرومين , مجلة الباحث

الاجتماعي (قسم علم الاجتماع , جامعة منتوري , الجزائر , أيلول , 2001 , ص 141 .

14. المشهداني , فهيمة كريم , مظاهر عمل الصبية المبكر ومخاطرها على الأمن الاجتماعي

دراسة ميدانية في مدينة بغداد , مجلة العلوم الاجتماعية , بغداد , العدد 24-25 , 2002 ,

ص 586 .

15. النوري , قيس الانثروبولوجيا الحضريّة , مصدر سابق , ص 102 .

16. حالات فوضى , الآثار الاجتماعية للعولمة , مصدر سابق , ص 231 .

17. الفارس , عبد الرزاق , الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي , مركز دراسات الوحدة

العربية ، بيروت ، ط1 ، 2001 ، ص 63 .

18. النوري ، قيس ، الانثروبولوجيا الحضرية ، مصدر سابق ، ص 132-133 .

19. خليل ، عزة عبد المحسن ، أطفال الشوارع في العالم العربي ، مصدر سابق ، ص 21 .

20. Salazar , Maria Cristina & Walter Alarcon Glasion Ovich , better schools , lesschildwork ; childwork and education in Brazil , Colombia , Ecuador , Guatemala and Peru , Unicef , Florence , Italy , 1996 , P. 21 .

21. خليل ، عزة عبد المحسن ، أطفال الشوارع في العالم العربي ، مصدر سابق ، ص 35 .

22. عصر ، سامي ، أطفال الشوارع ، الظاهرة والأسباب ، دار الأمين للطباعة والنشر ، القاهرة ،

ط1 ، 2000 ، ص 158 .

23. المشهداني ، خديجة حسن جاسم ، العوامل الاجتماعية المؤثرة في تسرب طلبة المرحلة

المتوسطة ، دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ،

(بحث غير منشور) ، 2000 ، ص 43 .

24. النوري ، قيس ، الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة ، مصدر سابق ، ص 105 .

25. المشهداني ، خديجة ، العوامل الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص 59-60 .

26. عبد العظيم ، محمد ، وصف أوضاع الأطفال العاملين في الصناعة ، دراسة ميدانية على

منطقة الخشابية ، مجلة الطفولة والتنمية ، العدد 6 ، القاهرة ، المجلس العربي للطفولة والتنمية

، 2002 ، ص 59 .

27. مصطفى ، عدنان ياسين ، الفقر والمشكلات الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص 89 .

28. المشهداني ، خديجة ، العوامل الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص 55-56 .

29. حمزة ، كريم محمد ، مسببات ظاهرة عمل الأطفال وتأثيراتها على الفرد والأسرة والمجتمع ،

دراسة مقدمة الى المؤتمر السنوي لهيئة رعاية الطفولة في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية

- (بحث غير منشور) , 2000 , ص 16 .
30. سرحان , منير مرسي في اجتماعات التربية , مكتبة الانجلو مصرية , القاهرة , ط2 , 1989 , ص 25 .
31. الفلاحى , حميد كردي , الصبية والعمل المبكر , دراسة ميدانية في مدينة الموصل , مجلة آداب الرافدين , جامعة الموصل , العدد 24 , 1992 , ص 408 .
32. الخواجا , صادق , ظاهرة أطفال الشوارع في الأردن , مجلة الطفولة والتنمية , القاهرة , المجلس العربي للطفولة والتنمية , العدد الأول , 2001 , ص 177 .
33. بدوي , أحمد زكي , معجم العلوم الاجتماعية , انكليزي , فرنسي , عربي , مكتبة لبنان , بيروت , 1977 , ص 412 .
34. الياسين , جعفر عبد الأمير علي , التشرد وانحراف سلوك الصغار والأحداث في العراق - دراسة ميدانية في علم الاجتماع الجنائي , أطروحة دكتوراه - كلية الآداب , قسم الاجتماع , 2002 , ص 150 .
35. المشهداني , فهيمة كريم رزيق , عمل الصبية المبكر , مصدر سابق , ص 588 .
36. فهيمي , محمد سيد , أطفال الشوارع , مصدر سابق , ص 52 .
37. المشهداني , خديجة , العوامل الاجتماعية , مصدر سابق , ص 53 .
38. النوري , قيس , الانثروبولوجيا الحضريّة , مصدر سابق , ص 205 .
39. فهيمي , محمد سيد , أطفال الشوارع , مصدر سابق , ص 51 .
40. عصر , سامي , أطفال الشوارع , الظاهرة والأسباب , مصدر سابق , ص 164 .
41. هير سجي , ترافيس , أسباب جنوح الأحداث , ترجمة الدكتور سلامة محمد غباري , المكتب الجامعي الحديث - الاسكندرية , 1987 , ص 227-228 .

42. النعيمي , أحمد يوسف أحمد , أثر عمل الصبية المبكر في جنوح الأحداث , دراسة ميدانية في مدينة الموصل , لكلية الآداب , 1999 , ص 36 .
43. مصطفى , زكريا , الانفجار الحضري السائد , أسبابه وانعكاساته على البيئة , المكتب الجامعي الحديث , الإسكندرية , 2000 , ص 115 .
44. السعدي , عباس فاضل , الهجرة الداخلية وخصائصها الجغرافية في العراق . 1977 - 1997 , مجلة دراسات اجتماعية (بيت الحكمة) , بغداد , العدد 13 , 2002 , ص 64 .
45. المصدر السابق نفسه , ص 70 .
46. العنبيكي , هادي عبد الحسن , المدن العملاقة وعشوائية التحضر , مجلة دراسات اجتماعية (بيت الحكمة) , بغداد , العدد 13 , 2002 , ص 61 .
47. مصطفى , زكريا , الانفجار الحضري السائد , مصدر سابق , ص 117 .
48. فهمي , محمد سيد , أطفال الشوارع , مصدر سابق , ص 45-46 .
49. عبد الجواد , ثريا , الأوضاع المتغيرة لظاهرة عمالة أطفال الشوارع في التسعينات , مجلة الطفولة والتنمية , العدد الصفري , القاهرة , 1999 , ص 233 .
50. عبد الجواد ثريا , الأوضاع المتغيرة , المصدر السابق نفسه , ص 234 .

